الحصاد

مجلة سنوية أكاديميّة محكّمة تصدر عن المعهد
الأكاديمي العربي للتربية الكليّة الأكاديميّة بيت بيرل

رئيس التحرير
د. علي وتد

العدد 10 | 2020

המכללה האקדמית בית ברל
الكلية الأكاديميّة بيت بيرل
Beit Berl College

הפקולטה לחינוך
המכון האקדמי הערבי לחינוך
المعهد الأكاديمي العربي للتربية

يوناتان مندل*

اندثار اللغة العربيّة بين اليهود في إسرائيل:
استعراض سياسيّ-تاريخيّ واقتراحات لتحدّي الوضع القائم

ملخّص

يتناول هذا المقال سيرورة اندثار اللغة العربيّة كلغة للنقاش والبحث والقراءة والكتابة، التحدّث والاستماع في المجتمع اليهوديّ في فلسطين/اسرائيل في القرن الماضي، وخاصّة منذ قيام إسرائيل عام 1948 حتّى يومنا هذا. المقال من خمسة أقسام. في القسم الأوّل، يُشرح بشكلٍ عامّ ونظريّ لماذا يجب اعتبار النقاش في مسألة تدريس اللغة أعمق بكثير، نقاشًا يربط بين الماضي والحاضر، ذي صلة بالعلاقات بين المجتمعات، الاعتبارات والرغبات والرؤى الاجتماعيّة والسياسيّة وغير ذلك. يفحص القسم الثاني من المقال الوضع في ما يتعلّق بمعرفة العربيّة في أوساط اليهود في إسرائيل في الفترة الراهنة. يحلّل المقال تقريرًا بحثيًا تناول معرفة العربيّة في أوساط اليهود، الذي كشفت عن مستويات تتراوح بين المنخفضة والمنخفضة جدًّا من التمكّن بمختلف مهارات اللغة العربيّة. في القسم الثالث من المقال، أعود إلى جذور تدريس اللغة في القرن الـ 20، ولا سيّما إلى تبلوُر مجال تدريس اللغة العربيّة في البلاد بصيغة أوروبّيّة-لغويّة-ألمانيّة. أتوقّف عند مميّزات هذا المجال، خاصّة في ما يتعلّق بإنشاء الجامعة العبريّة في القدس ومعهد العلوم الشرقيّة (1926). في القسم الرابع من المقال أحلّل السياقات «اللاتينيّة» لتدريس اللغة العربيّة في المدارس العبرية، وأشرح كيف انعكست في المدرسة العبريّة «الريئالي» في حيفا (بدءًا من عام 1913) وكيف أنّها تظلّ إطار تدريس اللغة حتّى يومنا هذا. أناقش ظاهرة تبلوُر تدريس اللغة العربية كسيرورة متجذّرة في الاستشراق من جهة، وفي سياقات أمنيّة

* هذا المقال مبنيّ على محاضرة ألقيتها باللغة العربيّة في مؤتمر ثنائيّ اللغة بعنوان «The Other's Language: Jewish Authors Writing in Arabic, Palestinian Authors Writing in Hebrew» عُقد في جامعة بروكسل (Université Libre de Bruxelles) في تاريخ 14-15.5.2019. أودّ أن أشكر منظّمَي المؤتمر، البروفيسور رؤوبين سنير والبروفيسور خافيير لابين. كما أودّ أن أوجّه شكري لصديقي صالح عليّ سواعد الذي ساعدني في ترجمة المحاضرة بالإضافة إلى ترجمة أقسام من هذا المقال.

من جهة أخرى. في القسم الخامس من المقال، أضيف بصيصًا من الأمل إلى الحالة المحزنة لتدريس ومكانة اللغة العربيّة في إسرائيل اليوم، من خلال دراسة ثلاثة مشاريع تربويّة–اجتماعيّة فعّالة: مبادرة لعقد مؤتمرات باللغة العربيّة في الجامعات الإسرائيليّة، مبادرة لتدريس اللغة العربيّة في جامعة بن غوريون، ومبادرة سلسلة «مكتوب» المكرّسة لترجمة الأدب العربي إلى العبريّة في نموذج ثنائيّ اللغة وثنائيّ القوميّة. الرسالة التي تظهر على طول هذا المقال هي أنّ هناك صلة مباشرة بين العلاقات اليهوديّة العربيّة والعلاقات العربيّة الإسرائيليّة وبين تدريس اللغة العربيّة في إسرائيل، وأنّ لتغيير وتحسين تدريس اللغة العربيّة بطريقة مدنيّة وثقافيّة يمكن قد تكون آثار بعيدة المدى.

الابعاد المختلفة لدراسة اللغة

الدراسات الحديثة في مجال اللغة والمجتمع والتي أتناولُها أنا أيضًا، لم تعُد تُلقي بظلال من الشكّ على العلاقة بين اللغة والموقف من المتحدّثين بها أو مَن يستخدمونها في الكتابة. وبالتالي، فإنّ ما يتناوله هذا المقال – العلاقة بين اليهود والعربيّة – يتضمّن موضوعًا أكبر بكثير: العلاقات المتغيّرة بين اليهود والعرب. لذلك، إذا أخذنا موضوع مقالي هذا كمثال، فإنّه يتناول «ظاهريًّا» معرفة اليهود (القراءة/ والكتابة) باللغة العربيّة، ضعف واختفاء المعرفة باللغة العربيّة على مدار القرون السبعة الماضية والانتقال إلى كتابة وقراءة اليهود عن العرب؛ ولكن في الواقع، يروي المقال قصّة أكبر بكثير وهي ابتعاد اليهود الذين يعيشون في إسرائيل عن الشرق الأوسط والثقافة العربيّة، وموقف اليهود المتغيّر من الثقافة العربيّة والعالم العربيّ: من موقف ينبع من تصوّر أنّ اليهود جزء من المنطقة، جزء من فسيفساء اجتماعيّ وثقافيّ، إلى موقف يمثّل تصوّرًا مختلفًا لليهود على أنّهم متميّزون عن المنطقة؛ ليهود يعتبرون أنفسهم مختلفين بشكل جوهريّ عن «الشعوب العربيّة»؛ موقف اليهود الذين ينظرون إلى العالم العربيّ من خلال منظار – أي عن بُعد. وبكلمات أخرى، ينبع بحثي من عمق تبصّرات البحث المعاصر في اللغة والمجتمع مع التذويت بأنّ اللغة هي الوسيلة المركزيّة التي ندير بها حياتنا الاجتماعيّة. في السياق اللغويّ، أعتمد أيضًا على تبصّرات باحثة اللغة كلير كريمش (Kramsch 2003: 3)، والتي بموجبها «تعبّر اللغة عن واقع ثقافيّ... اللغة لا تعكس الواقع فحسب، بل تشكّله أيضًا. إنّها تمنح الأشياء معنًى. إنّها تفسّر، تُقنع، وتقرّر. اللغة نفسها هي واقع ثقافيّ». كما أنّني أعتمد لاحقًا على دراسات الباحث الاكاديمي البارز ياسر سليمان (Suleiman, 2004) أيضًا الذي يرى اللغة والبحث فيها كمتنبّئ وقمر اصطناعيّ كاشف عن علاقات أعمق تتخطّى قضايا

اللغة فقط. وفقًا لسليمان، من خلال الحديث عن اللغة ومكانتها، يمكن الكشف عن تيّارات عميقة للواقع الاجتماعيّ السياسيّ، والتي تكون مصداقيّتها أفضل من الكتابة أو الحديث المباشرَيْن عن الوضع الاجتماعيّ-السياسيّ. بذلك، يكمل سليمان ادّعاء مفكّرين من مجالات أخرى، مثل ادّعاء غرامشي (Gramsci 1985: 183) الذي ينصّ على أنّه «في كلّ مرّة يظهر فيها سؤال متعلّق باللغة، فإنّه يشير، بشكل أو بآخر، إلى أنّ سلسلة أخرى من الأسئلة تطفو على السطح معه». بكلمات أخرى، عندما أكتب عن ابتعاد اليهود عن اللغة العربيّة، فأنا أكتب عن ابتعاد آخر مختلف وأعمق، يتعلّق بالجغرافيا، الذاكرة، العلاقات الاجتماعيّة، الطبقات الثقافيّة وحتّى الأفق السياسيّ.

ارتبط ابتعاد اليهود عن اللغة العربيّة – وعن العرب – بالسيرورات التي حدثت في المجتمع اليهوديّ وفي ظلّ الصراع العربيّ-اليهوديّ. أطلق على هذه السيرورات «عسكرة» اللغة العربيّة التي كتبت عنها في كتبي (מנדל 2020, مندل Mendel 2018, 2014). ترتبط بعض هذه التبصُّرات أيضًا ببنية المعرفة التعليميّة والأكاديميّة. وما هو وثيق الصلة لهذا الأمر هو التبصّرات التي تبيّنت من خلال دراسة لغيل إيال حول تطور دراسات الشرق الأوسط في المجتمع اليهوديّ في إسرائيل، وخاصّة حول التغيّرات التي طرأت على هذا المجال في خمسينيّات القرن الماضي في أوساط الجيل الثاني من باحثي الشرق الأوسط في معهد الدراسات الشرقيّة في الجامعة العبريّة.

وفقًا لإيال (איל 2005: 12)

> «قُسِّم مجال المعرفة الذي يتناول الشرق وتوزيعه خلال تلك السنوات إلى عدد كبير من الكلّيّات المختلفة والمتميّزة عن بعضها التي هيمنت على الصلاحيّة، في كلّ منها مجموعة مختلفة من الخبراء في مجالات: الاستخبارات، الإدارة، الإعلام واستيعاب الهجرة. باختصار مرّ الشرق بسيرورة نزع السحر الكامن فيه وأصبح الاستشراق مجالًا تمايُزيًّا – لم يعُد يقع بين نقاط تواصل «التعايش اليهوديّ العربيّ»، بل في برج مراقبة يُطلّ على الحدود التي أصبحت أكثر جمودًا. هناك جيل الشباب من المستشرقين وجد غايته في هذا العالَم الذي يتّسم بالاغتراب واللامركزيّة: لم يعُد يسعى للبحث عن سرّ التجدّد اليهوديّ، بل يبحث عن «معلومات استخباراتيّة مكشوفة حول نوايا وخطط وأعمال «زعيم أو نظام عربيّ ما».

في مجال تدريس اللغة العربيّة أيضًا، وهو المجال الرئيسيّ لبحثي، ولكن في المجال الأوسع أيضًا، مجال معرفة اللغة العربيّة واستخدامها في المجتمع اليهوديّ، يمكن

ملاحظة هذا الانحسار. فمن ناحية، هناك انخفاض حادّ في نسبة اليهود المتمكّنين من اللغة العربيّة بالنظر إلى المجتمع ككلّ، ومن ناحية أخرى ظهرت طبقة يمكن تسميتها بالامنية – العسكريّة أو السياسيّة – الحكوميّة التي أصبحت رأس الحربة في معرفة اللغة العربيّة في المجتمع اليهوديّ في إسرائيل. وهذا يعني انخفاضا في المعرفة الإنسانيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، كما كان شائعًا في فلسطين – في صفد والخليل وطبريا والقدس – على سبيل المثال خلال القرن التاسع عشر، وظهور المعرفة الضيّقة النابعة من أهداف يهوديّة صهيونيّة محدودة. بالإضافة إلى ذلك، مثّل اليهود الوافدون من الدول العربيّة، سواء كانوا من العراق أو اليمن أو تونس أو لبنان، معرفة عامّة باللغة العربيّة معرفة اجتماعيّة، اقتصاديّة، تجاريّة، إعلاميّة أو ثقافيّة، وهذه المعرفة التي أخذت تتناقص اندثرت في نهاية الأمر كجزء من الرغبة في الابتعاد عن العربيّ وعن العروبة (arabness)، وتركت مكانها للمعرفة التي تتطلّب التبرير والإطار والتركيز الصهيونيّ–الأمنيّ من أجل مواصلة الحفاظ عليها.

الوضع الراهن

في عام 2015، نشرت مجموعة من الباحثين كان لي شرف أن أكون من بينهم، دراسة بعنوان «معرفة اللغة العربيّة لدى اليهود في إسرائيل» \ «ידיעת ערבית בקרב יהודים בישראל» (שנהב ואחרים, 2015)، والتي دعمت هذا التحليل بمعطيات إحصائيّة هامّة. أجرت المجموعة استطلاعًا في أوساط عيّنة تمثيليّة من السكان اليهود في إسرائيل، وتوصّلت إلى نتائج غير مرضية فيما يتعلق بمعرفة اللغة العربيّة لدى هذه العيّنة. فقد طُلب من عيّنة تمثيليّة مؤلّفة من 521 شخصًا تقييم مهاراتهم العامّة في اللغة العربيّة والإشارة إلى إذا كان مستوى معرفتهم منخفضًا أو متوسّطًا أو مرتفعًا، ثمّ سُئلوا عن مهارات لغويّة محدّدة. على الرغم من أنّ 9.8٪ من المجيبين صنّفوا مستوى معرفتهم باللغة العربيّة على أنّه مرتفع، إلّا أنّه عندما طلب منهم توضيح ذلك، انخفضت الأرقام بشكل كبير: ذكرَ 6.8٪ فقط من المجيبين أنّه يمكنهم تمييز الحروف باللغة العربيّة؛ ادّعى 2.6% فقط أنّهم يستطيعون قراءة نصّ قصير باللغة العربيّة؛ و 1.4% فقط من المجيبين ذكروا أنّه يمكنهم كتابة رسالة إلكترونيّة أو رسالة قصيرة باللغة العربيّة؛ وأفاد أقلّ من واحد في المائة من اليهود في إسرائيل أنّهم قادرون على قراءة كتاب باللغة العربيّة.

علاوة على ذلك، عكست هذه الأرقام الإحصائيّة في بعض الأحيان «إطراءً»؛ لأنّها أخذت بعين الاعتبار أيضًا المجيبين اليهود المتولّدين في الدول العربيّة. عندما قمنا بتحليل المعطيات فقط بناءً على نتائج المجيبين الذين هم يهود أصولهم من دول أخرى (من اليهود الأشكناز في معظمهم) تبيّن أنّه فقط 3.1% يمكنهم التعرّف على الحروف باللغة

العربيّة، فقط 0.4% يمكنهم قراءة نصّ قصير باللغة العربيّة، فقط 0.4% يمكنهم كتابة رسالة إلكترونيّة قصيرة أو رسالة باللغة العربيّة، وأشارت نسبة صغيرة فقط 0.1% إلى أنّهم يمكنهم قراءة كتاب باللغة العربيّة. بمعنى آخر، أظهرت الدراسة أنّه في أوساط السكّان اليهود الذين ولدوا في إسرائيل (أي يهود أشكناز ويهود شرقيّين من الجيلَيْن الثاني والثالث)، القدرة على التواصل باللغة العربيّة بمستوًى جيّد – بما في ذلك الكتابة والقراءة والفهم ومهارات التحدّث – كانت منخفضة بشكل استثنائيّ.

عندما حلّلنا المعطيات وحاولنا الوقوف على الفروق بين الجيل الأوّل من المهاجرين من الدول العربيّة والجيلَيْن الثاني والثالث، ظهرت صورة اندثار اللغة العربيّة بين اليهود الشرقيّين (أو اليهود العرب) في إسرائيل. وفقًا لمعطيات الاستطلاع، في أوساط أبناء الجيل الأوّل من اليهود العرب (معظمهم ولدوا في عشرينيّات وثلاثينيّات وأربعينيّات القرن الـ 20)، ما زال 41% منهم يتحدّثون العربيّة. لكن لدى أبناء الجيل الثاني (من مواليد الخمسينيّات والستينيّات) انخفضت قيمة هذا المعطى إلى 29%، ولدى الجيل الثالث انخفضت أكثر لتصل إلى 9%.

حسب رأيي، إنّ هذه المعطيات يجب أن تقلق سكّان إسرائيل أكثر بكثير من اندثار أيّة لغة أخرى نطق بها اليهود في البلاد – على سبيل المثال: الألمانيّة أو الروسيّة أو الرومانيّة أو حتّى اليديش واللادينو- بما حدث في إسرائيل بين الجيل الأوّل من المهاجرين والأجيال اللاحقة. اللغة العربيّة، كونها لغة ساميّة متداولة في أجزاء كثيرة من العالم، هي أقرب لغة حيّة إلى العبريّة. كانت اللغة العربيّة ولا تزال لغة المنطقة؛ علاوة على ذلك، هذه هي اللغة الأمّ للعرب الفلسطينيّين الذين يعيشون جنبًا إلى جنب مع اليهود في البلاد، وتتمتّع بمكانة «لغة رسميّة»، كما كان الحال في الفترة بين 1922 وتمّوز 2018، عشيّة سنّ قانون القوميّة المَعيب، أو «مكانة خاصّة» كما مُنحت لها بعد سنّ القانون. كما قُلت في بداية مقالتي حول العلاقة بين اللغة واللغة، تلك العلاقة التي حسب أستاذي البروفيسور ياسر سليمان تشكّل اللغة فيها «نبوءة» أو proxy (Suleiman 2014: 17) بالنسبة إلى العلاقات السياسيّة، فإنّ للقضاء على مهارات اللغة العربيّة بين اليهود في إسرائيل عامّة، واليهود الشرقيّين خاصّة، آثارا بعيدة المدى على الصراع العربيّ الإسرائيليّ، التوتّر بين اليهود والعرب في إسرائيل، العلاقات داخل المجتمع اليهوديّ، وعلى السياقات التي تستحضر فيها اللغة العربيّة نفسها حيث تغيّرت بشكل كبير عندما تحوّلت هذه اللغة إلى جزء من مكوّنات الهويّة الشخصيّة والمحلّيّة، وإلى لغة متدنّية غير مُتحدَّثة، لغة الآخر والأجنبيّ.

يتبيّن من هذه المعطيات بوضوح أنّ اللغة العربيّة مرّت بعمليّة انفصال عن المجتمع اليهوديّ في إسرائيل فيما يتعلّق بمكانة اللغة وتعليمها. من وجهة نظر اجتماعيّة ناقدة،

يمكن القول إنّ إنكار اللغة العربيّة قد فُرض على اليهود من الدول العربيّة في بلد شهد صراعًا ثنائيًّا بين «اليهود» و«العرب» واعتبروا أنفسهم دولة غربية موجودة فعليًّا في الشرق، لكنّها ليست جزءًا منه. في الواقع، أصبح تدريس اللغة العربيّة أكثر شعبيّة بالذات بين الجمهور غير الشرقيّ في إسرائيل الذي أراد الجيلان الثاني والثالث منه الابتعاد عنها. وهكذا، على سبيل المثال، بيّنت الدراسة (שנהב ואחרים 2015: 23) أنّ نسبة اليهود الأشكناز الذين درسوا اللغة العربيّة في الجامعة كانت أعلى بأربعة أضعاف من نسبة اليهود من أصول شرق أوسطيّة، وأنّ نسبة اليهود الأشكناز الذين درسوا اللغة العربيّة في الجيش كانت أعلى بثلاثة أضعاف من نسبة اليهود من أصول شرقيّة.

وفقًا لما بيّنته الدراسات، فإنّ هذه المعطيات تتوافق مع سيرورة تاريخيّة واسعة النطاق من الانفصال والانقسام بين اليهود واللغة العربيّة، وخاصّة بين اليهود الشرقيّين واللغة العربيّة. فقط بهذه الطريقة يمكننا فهم تحوّل اللغة العربيّة من لغة تميّز الحيّز والمنطقة، إلى لغة مقترنة بالعدوّ. نتيجة أخرى لهذه السيرورة الاجتماعيّة والسياسيّة هي الهوة الّتي بدأت تتسع وتزداد حدّة في البلاد، بين التحدّث بالعربيّة (بين الأقلّيّة اليهوديّة القادمة من الدول العربيّة الآخذة في الاندثار) والترجمة الحرفيّة للنصوص العربيّة (المهارة التي اكتسبتها الأغلبيّة الجديدة والسائدة من طلبة العربيّة في إسرائيل تتبع من مقاربة الترجمة–النحو).

العربيّة بمقاربة أوروبّيّة؟ الجذور التاريخيّة

تُعتبر هذه الأمور هامّة، إذ إنّ اللغة العربيّة التي تُدرّس في الحيّزات اليهوديّة في إسرائيل تسير وفق مقاربة لغويّة غربيّة. هكذا سارت الأمور عمليًّا منذ أن تبلور تدريس اللغة العربيّة في جهاز التربية والتعليم في القرن الـ 20. شكّلت طريقة فقه اللغة المقارن (الفيلولوجية) الألمانيّة البنية التحتيّة التي بُني عليها مجال الاستشراق في البلاد أيضًا. يمكننا رؤية ذلك – كمثال معروف – في المؤسّسة التي كانت رائدة في مجال تدريس اللغة العربيّة في البلاد، ألا وهي الجامعة العبريّة في القدس.

كما ذكرنا آنفًا، جاءت هذه المقاربة اللغويّة الغربيّة إلى إسرائيل في نهاية العهد العثمانيّ والانتداب البريطانيّ، مع هجرة علماء يهود الذين حصلوا على تعليمهم الأكاديميّ في ألمانيا. حيث أكّد هؤلاء المثقّفون الذين وضعوا الأسس للدراسات العربيّة في المجال الأكاديميّ وجهاز التربية والتعليم الناشئ، على أهمّيّة المباني الصرفيّة والنحويّة في تدريس اللغة، وركّزوا على النصوص الكلاسيكيّة (Uhlmann 2017).[1]

1. د. ألون أولمن الذي بحث في تدريس اللغة العربيّة في الجامعات في إسرائيل في القرن الـ 21، تناول تأثير المميّزات الأوروبّيّة في هذا المجال. لقد خلقت التأثيرات حالة غريبة على ما يبدو، والتي تظهر آثارها في أيّامنا: من بين وفرة مهارات اللغة العربيّة تمكّن التلاميذ اليهود من جداول النحو والصرف فقط؛ أمّا التلاميذ العرب، فقد كان تحصيلهم في النحو متدنّيا (Uhlmann 2017, X, 20, 24, 77).

كانت المؤسّستان الرئيسيّتان لتعليم اللغة العربيّة في إسرائيل في ذلك الوقت، معهد العلوم الشرقيّة (أو مدرسة العلوم الشرقيّة) في الجامعة العبريّة في القدس، وهو المعهد الأكاديميّ الوحيد في البلاد الذي عمل في هذا المجال، ومن هنا أتت أهمّيّته في توجيه تدريس اللغة العربيّة في المؤسّسات التعليميّة؛ ومدرسة «الريئالي» العبريّة في حيفا، المدرسة الرائدة والأكثر تأثيرًا في تدريس اللغة العربيّة في البلاد. عملت كلتا المؤسّستين كشبكة من الخبراء والخبرة والمعرفة، وفيهما جرى التعلّم التربويّ الأكثر أهمّيّة وتأثيرًا للغة العربيّة. لذلك، يتيح لنا إمعان النظر في هاتين المؤسّستين تتبّع تشكيل مجال دراسات اللغة العربيّة في المجتمع اليهوديّ خلال فترة الانتداب البريطانيّ في فلسطين – ومنذ 1948: في إسرائيل.[2]

كمثال، سوف أتطرّق إلى معهد العلوم الشرقية. تأسّس المعهد في الجامعة العبريّة في عام 1926، بعد مرور سنة على تأسيس الجامعة، وكان ثاني معهد أقيم فيها بعد معهد العلوم اليهوديّة. كان معظم مؤسّسي المعهد والباحثين الذين عملوا فيه من أصول يهوديّة–ألمانيّة: مدير المعهد جوزيف هوروفيتس (1874–1931)، الحاصل على درجة الدكتوراه من برلين في عام 1897؛ داڤيد هرطڤيغ بانيط (1893–1973)، الحاصل على درجة الدكتوراه من برلين في عام 1920؛ ليئو أرييه ماير (1895–1959)، الحاصل على درجة الدكتوراه من ڤيينا عام 1927؛ وولتر يوسف فيشل (1902–1973)، الحاصل على درجة الدكتوراه من غيسن في عام 1926؛ نوّاح براون (1890–1962)؛ الحاصل على درجة الدكتوراه من هايدلبرغ في عام 1923؛ وليڤي بيليغ (1897–1936)، الحاصل على درجة الدكتوراه من كامبردج في عام 1925.[3] خلال السنوات التالية ضمّ المعهد إلى صفوفه أربعة باحثين يُعتبرون الجيل الأوّل للباحثين في المعهد: غوتهولد ڤايل (1882–1960)، الحاصل على درجة الدكتوراه من برلين في عام 1905؛ يوسف يوئيل ريڤلين (1890–1971)، الحاصل على درجة الدكتوراه من فرانكفورت في عام 1927؛ شلومو دوڤ (فريتس) غويتاين (1900–1985)، الحاصل على درجة الدكتوراه من فرانكفورت في عام 1923؛ وهانس يعكوڤ بولوتسكي (1905–1991)، الحاصل على درجة الدكتوراه من غوتينغن في عام 1926.

في المُجمل، من بين الباحثين العشرة في معهد العلوم الشرقيّة الواردة أسماؤهم أعلاهُ، تسعة هم من خرّيجي جامعات ناطقة بالألمانيّة. علاوة على ذلك، باستثناء ريڤلين،

2. لقراءة المزيد عن هاتين المؤسّستين، انظروا مقالي: Yonatan Mendel. 2016. "From German Philology to Local Usability: The Emergence of 'Practical' Arabic in the Hebrew Reali School in Haifa", *Middle Eastern Studies* 52 (1), pp. 1–26.

3. ليڤي (لويس) بيليغ هو الوحيد الذي لم يكن ألمانيًا. وُلد بيليغ في لندن ودرس في كامبردج الدراسات الكلاسيكيّة واللغات الشرقيّة. كانت المقاربة الكلاسيكيّة النحويّة الملائمة لمقاييس اللاتينيّة جزءًا من تعليمه الأكاديميّ. حصل على تعيينه في منصب عضو طاقم في معهد العلوم الشرقيّة بناءً على طلب من مدير المعهد جوزيف هوروڤيتس، لتلاؤمه مع روح المعهد واتّجاهاته في البحث.

الذي ولد في القدس، وُلد جميع العلماء في أوروبّا؛ وكان العشرة من اليهود الأشكناز (انتمت عائلة ريڤلين إلى الاستيطان القديم، لكنّ أصولها تعود إلى أوكرانيا والنمسا وروسيا البيضاء). أي أنّ أيًّا من الباحثين في معهد العلوم الشرقيّة لم يكن يهوديًّا من أصول شرقيّة، أو يهوديًّا ناطقًا بالعربيّة أو باحثًا عربيًّا (مسلمًا أو مسيحيًّا). في الوثيقة التأسيسيّة للمعهد، والتي وُضعت في فرانكفورت في 14 أيّار 1925، كتب مؤسّس المعهد، جوزيف هوروڤيتس: «يجب أن يكون رئيس المعهد باحثًا في الدراسات العربيّة مؤهّلًا في أوروبّا أو الولايات المتّحدة فقط؛ لأنّه لا يوجد حاليًّا باحثون من الشرق (orientalische Gelehrte) متمكّنين من الأساليب العلميّة» (Mangold Will, 2016). حتّى أنّه أعدّ قائمة بمرشّحين لوظيفة الباحثين في المعهد، وجميعهم من أوروبا أو الولايات المتّحدة، ومعظمهم من أصل ألمانيّ، أو مِن أولئك الذين تلقّوا تعليمًا من علماء اللغة الألمان.[4]

تطرّق برنارد لويس إلى إنشاء المعهد وادّعى أنّه لا يجوز تجاهُل «أهمّيّة الطريقة اللغويّة الألمانيّة في تطوير الدراسات العربيّة والإسلاميّة في أوروبا – تقليد لغويّ شكّل إلى حدّ كبير طبيعة الدراسات العربيّة والإسلاميّة في [الجامعة العبريّة في] القدس (א"ל 2005: 62). بالطبع، تتعلّق هذه الخصائص بحقيقة أنّ الجامعة العبريّة في القدس تأسّست كجزء لا يتجزّأ من المشروع الصهيونيّ (والأوروبّيّ) في البلاد؛ منذ تأسيسها، كانت مؤسّسة أكاديميّة غربيّة، تضمّ طاقمًا أكاديميًّا يتكوّن من مهاجرين يهود، غالبيّتهم العظمى من وسط أوروبّا (في الأساس من ألمانيا) وشرق أوروبا.[5]

العربيّة كاللغة اللاتينيّة؟ المدارس كمثال

كما أدّعي، أُسس اللغة العربيّة هذه في المجتمع اليهوديّ خلال فترة الانتداب البريطانيّ في فلسطين، يمكن أن تفسّر بعض الظواهر التي حوّلت العربيّة في نهاية المطاف في إسرائيل (في المجتمع اليهوديّ) من لغة شائعة إلى لغة خاملة وجامدة. على سبيل المثال، ادّعى ألون أولمن (Uhlmann 2017: 76-126) أنّ المقاربة التعليميّة في معظم المدارس والجامعات تتعامل مع اللغة العربيّة كلغة يجب تحليلها، التدقيق

4 ضمّت القائمة مرسيل كوهين من باريس، ريتشارد جيمس غوطهيل من نيويورك، جورج ليڤي دي لا ڤيدا من روما، هربرت مارتن لوڤا من كامبردج، أويغن ميتڤيخ من برلين، ويليام بوبر من سان فرانسيسكو، أوسكار ريشر من براتسلاڤ وغوتهولد ڤايل من برلين. ستّة من بين الثمانية أو مرشدوهم كانوا نحويّين ألمان. لقراءة المزيد، انظروا جوزيف هوروڤيتس، "Suggestions for the Establishment of an Institute of Arabic and Islamic studies in Jerusalem", 14.5.1925, أرشيف الجامعة العبريّة، مدرسة العلوم الشرقيّة 91/1 1925–1927). عن مركزيّة العلماء اليهود– الألمان في إنتاج المعرفة في مجال الاستشراق في فلسطين، انطروا: Eyal 2006, 62.

5 بعد صعود النازيّة في ألمانيا عام 1933، جرى التأكيد على العنصر الأوروبّيّ بقدر أكبر، إذ كان لليهود الذين فرّوا من ألمانيا نصيب الأسد من بين الباحثين في الجامعة. للمزيد من القراءة انظروا: כ"ץ והד 1997; קירש 2008; לבסקי 2009.

فيها، تفسيرها وترجمتها، كما لو كانت لغة ميّتة مثل اللاتينيّة القديمة – على عكس طريقة تدريس الإنجليزيّة والفرنسيّة، مثلًا، إذ يُتناول أيضًا الجوانب الحيّة في هاتين اللغتين. كذلك،بيّن ألون فراغمان (פרגמן, 2006) أنّه على الرغم من إجراء تغييرات في بعض الكتب التعليميّة على مرّ السنين، إلّا أنّ العديد ما زالوا يعلّمون اللغة العربيّة حسب المقاربة القديمة المبنيّة على الترجمة–النحو (grammar-translation)، وهذه هي المقاربة المتّبعة في الجامعات. جاء على حدّ تعبيره: «إنّ طريقة تدريس اللغة العربيّة تشبه إلى حدّ كبير طرق التدريس التي فقط بدا لنا أنّها اندثرت. كانت طريقة الترجمة–النحو هي الطريقة الأساسية لتعليم اللغات الأجنبيّة في العالم الغربيّ قبل ثلاثة وأربعة وخمسة قرون». أضاف البروفيسور محمد أمارة (אמארה, 2013) إلى ذلك أن كلًا من اللغة العربيّة التي تدرّس في المدارس اليهوديّة، والعربيّة التي تدرّس في الأكاديميّة تعزّز بالذات اليهود الناطقين باللغة العربيّة وليس العرب الناطقين بها. أشار أمارة إلى أنّ المهارات اللغويّة التي يكتسبها متعلّمو اللغة العربيّة في المدارس اليهوديّة ليست كافية حتّى للاحتياجات الأساسيّة. على حدّ تعبيره ينبع هذا من أنّ «مقاربات 'التحويل إلى اللاتينيّة' للّغة العربيّة، أي تدريسها بالطريقة التي تُدرّس بها اللغة اللاتينيّة، كلغة ميّتة»، تميّز التعليم في المدارس وتُعزّز في التعليم العالي. بكلمات أخرى، تُدرّس اللغة العربيّة كلغة جامدة تفتقر إلى جميع المكوّنات الديناميكيّة لتعلّم لغة ثانية وفقًا للمقاربة العصريّة – الثقافة، المحادثة، التواصل والتعارف. لقد جعلتها طريقة تعليمها لغةً تكمن كنوزها في الماضي (وبالتالي تتطلّب تحليلًا، ترجمة فكًّا للرموز وتقيّدًا بالنصّ)، أو في الحاضر، في السياقات الوطنيّة والعسكريّة (وبالتالي هي غير هامّة لمستقبل مدنيّ).

عمليًّا، ادّعائي هو أنّ عسكرة اللغة العربيّة – بما في ذلك تدريس اللغة العربيّة لدوافع استخباراتيّة، ومشاركة هيئات عسكريّة في لجان تعليميّة في سياق تدريس العربيّة، مشاركة اقتصاديّة من جانب هيئات أمنيّة وسياسيّة في دعم وتشجيع تدريس اللغة العربيّة، مشاريع مشتركة بين القطاعين التربويّ والعسكريّ، إقصاء متواصل لباحثين عرب عن مراكز اتّخاذ القرارات في هذا المجال وخلق صيغة عسكريّة مضمونها «العربيّة هامّة للسلام والأمن»[6] –لا يمكنها أن تفسّر ابتعاد غالبيّة المجتمع اليهوديّ عن اللغة والثقافة العربيّة، واعتبارهما «لغة الآخر» أو «لغة العدوّ». إلى جانب العسكرة، هناك حاجة إلى التأكيد على لاتينيّة (أو «لتننة») الدراسات العربيّة، وفي الواقع، يجدر بنا القول إنّ هاتين العمليّتين مهّدتا لإنتاج نوع جديد من العربيّة، «العربيّة الإسرائيليّة». وأنّا أدّعي أنّ «العربيّة الإسرائيليّة» هي نِتاج تصوّرات قوميّة، وعي أمنيّ، مقاربات غربيّة وإيديولوجيّات صهيونيّة، وأن حفظها لم يشجع اللغة

6. الموضوع العسكريّ والأمنيّ والاستشراقيّ هو محور كتاباتي: מנדל 2020, مندل 2018, Mendel 2014.

العربيّة الحقيقيّة (اللغة والثقافة العميقة) بل على العكس – لقد شجّع اختفاء العلاقات بين اليهود واللغة العربيّة، وبين اليهود والعربيّة. وبدلًا من أن يكون تعلّم اللغة العربيّة مشحونا بقيمة ثقافيّة، تربويّة وإنسانيّة، أصبح وسيلة لتحقيق هدف استراتيجيّ. بدلًا من أن يشكّل تعلُّم العربيّة جسرًا للتواصل والتفاهم والتغيير، أقامَ حاجزًا. «العربيّة الإسرائيليّة» تثير الخوف (لدى اليهود الذين يدرسونها) من الناطقين بالعربيّة، بينما تجعل العرب يخشون اليهود الذين يدرسونها. يبدو لي أنّه لا توجد حالة متناقضة أخرى كهذه في العالم حيث يكون الشخص أكثر خوفًا عندما يلتقي لأوّل مرّة بمواطني بلاده، من مجتمع الأغلبية، الذي يتحدث لغته الخاصّة، ممّا لو التقى مواطنًا من بلاده، من مجتمع الأغلبيّة الذي لا يعرف لغته على الإطلاق. يشهد رد الفعل الغريزيّ للمواطنين العرب الفلسطينيّين مواطني إسرائيل عند سماع اللغة العربيّة في أوساط اليهود، بقدر كبير جدًّا على تطوّر مجال تعليم اللغة العربيّة ومعرفتها في أوساط المجتمع اليهوديّ في إسرائيل.

خضعت اللغة العربيّة التي يتمّ تدريسها في إسرائيل لعمليّة حادّة من التحويل إلى اللاتينيّة، والتي أدّت في النهاية إلى نشوء مبنًى اجتماعيّ جديد – لهجة اجتماعيّة (sociolect) يهودية خاصّة – الذي أسمّيه، كما ذكرت هنا، «العربيّة الإسرائيليّة». هذه لهجة اجتماعيّة عربيّة غير مسموعة ولا تُكتب. هذه هي عربيّة تسمع وتترجم اثنتين من القدرات الرئيسيّة المشار إليهما ما تتطلّبه وحدة الاستخبارات التي شكّلت إلى حدّ كبير المبرّر الوحيد للمؤسّسة لمواصلة تدريس اللغة العربيّة خلال السنوات الحرجة لإرساء وترسيخ الموضوع، سنوات الستين والسبعين. هاتان اثنتان من القدرات السلبيّة التي تؤكّد على الموقف من اللغة العربيّة كلغة أجنبيّة غير مستخدمة لدى المجتمع اليهوديّ في إسرائيل.

هذه هي السيرورة المأساوية التي تقع في قلب هذه المقالة. انتقلت العربيّة خلال قرن من لغة يدرّسها معلّمون ناطقون باللغة العربيّة متمكّنون من المحكيّة والفصحى، ذوو معرفة بالمجتمع العربيّ والثقافة العربيّة، يعرفون القراءة والكتابة باللغة العربيّة، يعرفون التحدّث والإصغاء بالعربيّة، ذوو معرفة بالإبداع والأدب باللغة العربيّة، إلى الحدود الضيّقة «للعربيّة الإسرائيليّة». من قبيل النوادر، أودّ التأكيد هنا على أنّه في عام 1913، عند إنشاء مدرسة «الريئالي» العبريّة في حيفا التي سرعان ما أصبحت أهمّ مدرسة عبريّة لتعليم اللغة العربيّة، قال المدير د. أرتور بيرام «إنّ اللغة العربيّة يجب أن تكون لاتينيّة بالنسبة إلى الطالب اليهوديّ في الشرق» (הלפרין 1970: 443). صحيح أنّه لم يقصد خفض مكانة اللغة العربيّة، لكنّه قارنها باللاتينيّة في ألمانيا، ذات الأهمّيّة الكلاسيكيّة لتدريس اللغات الكلاسيكيّة وعلم اللغة، وليست لغة التحدّث والإبداع في آن واحد في العصر الحديث، وبالتأكيد لا يتمّ التواصل من خلالها في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

بكلمات أخرى، كان هذا هو الاختلاف الذي حدث منذ تلك الفترة بين اللغة والخبراء الجدد المشاركين مصيريًا. اعتبرت العربيّة التي كانت في أوساط العرب غير ذات صلة بالجمهور اليهوديّ بسبب الفصل بين اليهود والعرب، واعتبرت العربيّة بين المواطنين اليهود في البلاد (الشرقيّين والأشكناز على حدّ سواء) غير ذات أهمّيّة بالنسبة إلى الجمهور اليهوديّ ككلّ، وبحاجة إلى وضعها في إطار أكاديميّ ومأسستها تربويًا، تتمحور كما أدّعي بفصلها عن المنطقة وتقاليدها. في إطار هذه السيرورة تختفي القدرات الإبداعيّة بالعربيّة وكأنّها لم تكن.

لا يوجد اليوم، كما أحسن البروفيسور رؤوبين سنير الوصف (Snir 2006)، إبداع يهوديّ باللغة العربيّة. لا يوجد يهود يكتبون باللغة العربيّة الجميلة، أو ينظمون الشعر بلغة عربيّة جميلة، أو يؤلّفون مسرحيات باللغة العربيّة، أو يدرّسون اللغة العربيّة باللغة العربيّة. لقد تم تعقيم اللغة اجتماعيًا وثقافيًا، وفي سيرورة استشراقيّة أكثر شمولًا، تطوّرت الكتابة عن العرب: في كثير من الأحيان من منطلق اعتبارهم عاملًا أجنبيًا غريبًا يجب فكّ شفرته ورموزه، لذلك كان المحاضر في الشرق الأوسط أو مدرّس اللغة العربيّة ضابط مخابرات. هذه هي «العربيّة الإسرائيليّة» كما أسمّيها، وهذه هي خصائصها: ليست لها شراكة يهوديّة عربيّة، ولا يوجد فيها خبراء عرب تقريبًا، والاحترافيّة الاستخباراتيّة جزء طبيعيّ لا يتجزّأ من بلورة الخبرة وشبكة الخبراء، والعلاقة فيما بين الشرق الأوسط العربيّ الحيّ والديناميكيّ، بالكاد تكون موجودة.

إنّ التوقّف عن الإبداع اليهوديّ الإيجابيّ باللغة العربيّة الذي رافقَنا منذ العصور الوسطى، بما في ذلك الإبداع بالعربيّة بأحرف عبريّة، لهو أمر مؤسف. لا يعرف اليهود الذين يولدون اليوم في إسرائيل أيّ واقع آخر فيه استخدام اللغة العربيّة كجزء من المخزون اللغويّ، وأصبح هذا سِمة عاديّة وطبيعيّة لليهود في البلاد بما يخالف ما كانوا عليه سالفا. هذا وضع مأساويّ تعمل فيه اللغة ومعرفتها –أو عدم معرفتها – كنوع من «الصندوق الأسود» للعلاقات اليهوديّة العربيّة وما هو مخلِّد للوضع الاجتماعيّ – السياسيّ الحاليّ.

البحث عن بصيص من الضوء

لكن علينا نحن كباحثين، مثقّفين ومفكّرين أن ننظر عن كثب إلى هذه العمليّات، أن نفكّر مليًا في طرق فعّالة للتعامل معها. لذلك أودّ أن أختتم ببعض الخطوات من هذا النوع التي أعرفها؛ لأنّه كان لي نصيب في إنتاجها. هذا لا يكفي للإشارة إلى أنّ هذه هي الخطوات الوحيدة، بل فقط لكي تشكّل حالات اختبار بالطريقة التي يمكن من

خلالها النهوض بالثقافة واللغة العربيّة – خاصّة إزاء الواقع الذي وصفته هنا، وإزاء السيرورات التاريخيّة التي شرحتها في المقال.

الأوّل هو برنامج للمؤتمرات الأكاديميّة باللغة العربيّة. في مشروع مشترك لمعهد فان لير، مركز دراسات وجمعيّة سيكوي، عُقدت في إطاره مؤتمرات باللغة العربيّة. في جامعة تل أبيب مؤتمر رائد بالعربيّة حول اليهود العرب، وفي جامعة بن غوريون مؤتمر رائد بالعربيّة حول الربيع العربيّ، وفي الجامعة العبريّة مؤتمر رائد حول حقوق المرأة، بالإضافة إلى مؤتمر في جامعة حيفا حول ثقافة وتاريخ المدينة. لقد كان الهدف من هذه الأحداث هو فتح باب في الخطاب الإسرائيلي الضيق الذي يرى أن اللغة العربيّة هي لغة تحتاج إلى البحث والتحليل وليست لغة تستخدم في الحوار الأكاديميّ والمحاضرة والبحث. كان الهدف جعل المحاضرين والطلّاب، اليهود والعرب، يجرؤون على رؤية لغة عربيّة أخرى، أصبحت الآن فيما وراء الأفق الإسرائيلي. كان المؤتمر الذي عُقد في تل أبيب بعنوان «أنا من اليهود»، وتناول العلاقات بين اليهود واللغة العربيّة. أحد المتحدّثين في المؤتمر كان الأديب الراحل سلمان ناطور، وهنا أريد أن أقتبس ممّا قاله، بالذات بسبب الاقتراح الذي تضمّنته أقواله (ناطور، 2016):

> «... هذا ما فعلته السلطة في إسرائيل منذ عام 1948 وحتّى اليوم باليهود العرب أنّها حاولت، ونجحت إلى حدّ كبير، في قطع جذورهم الثقافيّة، في بتر انتمائهم الثقافيّ الحضاريّ إلى ثقافة عريقة، في كسر لغتهم، في تسيير شخصيّتهم، في إجبارهم على أن يقطعوا علاقتهم بالإنسان العربيّ الذي فيهم، أن يقتلوا العربيّ الذي بداخلهم، هذا ما صار. وأنا أعتقد أنّ هذه هي الجريمة الكبرى التي ارتكبت في حقّ اليهود العرب أوّلًا، واليهود بشكل عام، وكذلك في حقّ الأشكناز. حدث شيء خلال سبعين عامًا أعتقد أنّه لم يحدث في أيّ منطقة في العالم... إذا كان هناك أحد يريد أن يطرح مشروعا لسلام، عليه أن يجيب عن السؤال الّذي هو ليس عن اندماج دولة إسرائيل في المنطقة لأنّ الدولة تتغيّر، تتبدلّ، تذهب وتجيء. عليه أن يطرح سؤال اندماج الانسان اليهوديّ في المنطقة. هذا هو السؤال المركزيّ، هذا هو السؤال المركزيّ الذي يجب أن يُسأل. ولو أنّني كنت يهوديًا، ولا يهمّ أشكنازي أو غيره، لو أنّني كنت كذلك لاعتقدت جازما أنّ هذا هو السؤال الوجوديّ الأساسيّ الذي يجب أن يشغلني. ما هو معنى وجوديّ؟ كيف أريد أن أطبّع أنا كفرد وجوديّ في هذه المنطقة؟ إلى أين ستتّجه أنظاري، إلى هنا؟ أم إلى هنا؟ ماذا أريد من هذا...؟

لماذا أنا هنا؟ هذه أسئلة وجوديّة، إذا لم تُسأل وتقدّم عليها إجابات فإنّ اليهوديّ هنا يكون أمام خيارَيْن: الأوّل... أن يكون هنا في حالة إقامة مؤقّتة أو إقامة دائمة. الإقامة المؤقتة عادة هي إقامة شخص أو إنسان أو مجموعة في مكان تعرف مسبقًا أنّها لن تدوم طويلًا... عشر سنوات... خمسين سنة مائة سنة مائتي سنة. هذا تفكير بعقليّة الإقامة المؤقّتة، أنّني لست دائمًا هنا؛ ولهذا السبب لا يعني ذلك الإنسان تعلّم اللغة أو ثقافة المكان الذي جاء إليه، ولا يعنيه التفكير بأحفاده أو أحفاد أحفاده، وفي هذه الحالة يكون إمّا سائحًا وإمّا محتلًّا «كولونياليست». أمّا الإقامة الدائمة فهي إقامة إنسان حيث عندما يذهب إلى مكان، وقبل أن يصل إليه، يعرف عن لغته، يعرف ما هي ثقافته لأنّه يريد أن يؤسّس وجوده فيه. أعتقد أنّ على الإسرائيليّ اليهوديّ في البلاد أن يختار بين التفكير والإحساس بضرورة أن يقيم هنا إقامة مؤقّتة، أو أن يبقى إقامة دائمة. أظنّ أنّ متطلّبات الإقامة الدائمة ليست سهلة. متطلّبات الإقامة الدائمة لا تعتمد على القوّة ولا تعتمد على السلاح. الإقامة المؤقّتة نعم تعتمد على... قنبلة نوويّة. أمّا الإقامة الدائمة فتعتمد على قرار وعلى قناعة بأنّ هذا المكان الذي أنا موجود فيه عليّ أن أحترمه، بترابه، ببحره بجبله، بسمائه بشجرته وبالطفل الذي يعيش فيه وبالإنسان الذي يعيش فيه».

المشروع الثاني الذي كان لي شرف قيادته هو مشروع يتم تنفيذه في جامعة بن غوريون في النقب، وهو إعادة النظر في تدريس اللغة العربيّة في قسم دراسات الشرق الأوسط. لا للمزيد من الدراسات الموازية للتدريس القديم لخمس وحدات تعليميّة في المدارس الثانويّة، وتعليم اللغة العربيّة باللغة العبريّة، والاعتماد على الترجمة- النحو، بناءً على سنوات من التقاليد الاستشراقيّة والاحتياجات والدوافع الأمنيّة، بل تدريس اللغة العربيّة باللغة العربيّة باستخدام الكتب المدرسيّة التي كتبها ناطقون باللغة العربيّة، مع الترويج للكتابة باللغة العربيّة، البسيطة في البداية والمركّبة لاحقًا، قراءة النصوص باللغة العربيّة، ودراسة مساقات أكاديميّة بالعربيّة، الجرأة على رؤية لغة عربيّة أخرى، تقع فيما وراء الأفق الإسرائيليّ.

يُسمّى البرنامج «العربيّة بالعربيّة» ويعتمد على المعرفة المتراكمة في الولايات المتّحدة وبريطانيا، في الأساس على برنامج «عربيّة الناس» والطريقة التكامليّة (the integrative approach) تم انشائها من قبل د. منذر يونس من جامعة كورنل

الأمريكيّة.[7] حسب رأيي، من خلال التدريس وفق هذه المقاربة، ننجح في تحدّي بعض المسلّمات التي رافقت تدريس اللغة العربيّة في البلاد منذ سنة 1948 وحتّى قبل ذلك. هذه العناصر تُستثنى من التغيير الجوهريّ للانتقال من مقاربة الترجمة–النحو، إلى الطريقة التكامليّة، ومن تدريس العربيّة بالعبريّة إلى تدريس العربيّة بالعربيّة، بل تتناول مستويات أعمق. خذوا مثلًا المواضيع التالية:

- حتّى الآن، دوّنت المناقشات حول تعليم اللغة العربيّة في الحيّزات المختلفة، سواء في المدارس أو وزارة التربية والتعليم أو الجامعات، بما في ذلك المحادثات بين أعضاء هيئة التدريس ورسائل البريد الإلكترونيّ والتقارير وما إلى ذلك، باللغة العبريّة. في الطاقم الحاليّ، نحرص على أن تكون النقاشات باللغة العربيّة قدر الإمكان، والمراسلات المهنيّة باللغة العربيّة قدر الإمكان. أنا أشجّع أعضاء الطاقم على التواصل باللغة العربيّة وعدم العودة إلى «الخيار الافتراضيّ» استخدام اللغة العبريّة، كما يحدث في اللقاءات بين اليهود والعرب في البلاد. لهذا الأمر تأثيرٌ في روح الطاقم وفي إحساسه بأنّ اللغة العربيّة هي لغة التواصل، ليس في الصفّ فحسب، بل في جميع المجالات التي نعمل فيها أيضًا.

- في إطار الجهود للحفاظ على مقاربة الترجمة–النحو، على مرّ السنين، كرّر بيداغوجيّون إسرائيليّون مرارًا وتكرارًا أنّ «العرب لا يعرفون العربيّة» وبالتالي، تاريخيًّا، تمّ إقصاؤهم عن هذا المجال، وفي الأساس عن كلّ ما يتعلّق باتّخاذ قرار في هذا المجال. أراد المستشرقون اليهود أن يثبتوا أنّهم يفوقون بمعرفتهم النحويّة المعلّمين العرب، وبالتالي حافظوا على وضع متناقض لا يشارك فيه المتحدّثون الناطقون بالعربيّة – الذين يقرؤون ويكتبون العربيّة، والذين يستهلكون التواصل والثقافة العربيّة، القادرون على فهم محاضرة أو قراءة رواية باللغة العربيّة من دون الحاجة إلى الرجوع إلى المعجم لفحص معنى كلّ كلمة – ويُنظر إليهم على أنّهم أدنى من زملائهم اليهود الذين يديرون حياتهم بالعبرية ويعرفون العربيّة كلغة ثانية أو ثالثة. أنا فخور بأنّ الطاقم المؤلّف من طاقم معلّمين ومستشارين عرب ويهود ناطقين باللغة العربيّة يدرك أهمّيّة المشاركة الكاملة مع المعلّمين الذين تعتبر اللغة العربيّة لغتهم المركزيّة والجَمع بين المهارات العربيّة المختلفة الموجودة بين أعضاء الطاقم.

7. للمزيد من التفاصيل: יונתן מנדל, "כל מה שרציתם לדעת על הסיבות שבגללן אתם לא יודעים ערבית ולא העזתם לשאול", موقع جامعة بن-غوريون:
https//:ibgu.bgu.ac.il?/p&3040=fbclid=IwAR3KsOOW8qAoQBoZ9aNZbA2FJ_Za8ZXRvmKVBSlmigIZCJFLyOVGs5bEJiA

- على مرّ السنين دُرّست اللغة العربيّة بطريقة «معقّمة» تقريبًا. وبعبارة أخرى، فإن التلاميذ الذين تعلّموا اللغة العربيّة وعن اللغة العربيّة، لم يعرفوا جيّدًا عالم المتحدّثين باللغة – الاجتماعيّ والثقافيّ والسياسيّ. وقد أسهم ذلك أيضًا في المشاركة المكثّفة للمسؤولين العسكريّين في التعليم العربيّ في إسرائيل وفي العديد من اللجان التعليميّة. في هذا السياق، وكمثال على ذلك، بالإمكان ذكر المعارضة التي ظهرت في إسرائيل لاستخدام الكتاب التعليميّ «الكتاب» الذي كان مَعْلَمًا في تدريس اللغة العربيّة في الغرب، لأنّه رُسمَت فيه خريطة باللغة العربيّة كُتب عليها «فلسطين». بخلاف تعامل ومقاربة كهذه، لا نخشى في برنامجنا تقريب الطلاب إلى الجمهور الناطق بالعربيّة – آرائه، مشاعره، أفكاره وخرائطه. إنّه برنامج مدنيّ وأكاديميّ يفخر بنفسه بالسعي إلى تعزيز المعرفة الثقافيّة، الاجتماعيّة والبشريّة ذات الصلة بالمجتمع والثقافة التي يدرسها، تمامًا مثل برامج تعليم اللغات الأخرى غير العربيّة. كما أشرنا أعلاه، فإنّ هذه المقاربة تعبّر عن رؤية القسم على مرّ السنين والتي تنعكس في جميع المساقات.

- كان بالإمكان توقّع شراكة بين اليهود والعرب في مجال تدريس اللغة العربيّة، ولكن هذا نادر جدًّا. والأكثر ندرة وجود شراكة حقيقيّة في مختلف عمليّات صنع القرار فيما يتعلّق بوحدات التدريس. في معظم الحالات، تألّفت طواقم التدريس في الحيّز العربي في إسرائيل من اليهود فقط، أو بدلًا من ذلك فقط من العرب (بشكل رئيسيّ في المجتمع العربيّ أو مؤسّسات خاصّة ذات توجّه دوليّ)، أو طواقم التدريس التي تضم اليهود والعرب التي شكّل اليهود فيها مديرين وصناع قرار، والعرب هم المنفّذون (أشهر مثال على ذلك هو المعلّم كمال ريّان في جفعات حبيبة). في برنامجنا، في المقابل، نسعى إلى تعزيز الحوار اليهوديّ–العربيّ في جميع مراحل البرنامج، بما في ذلك نقاش وإنتاج كلّ وحدة. إنّها خاصّيّة ذات أهمّيّة تربويّة وتعليميّة وفي الوقت نفسه لها قيمة رمزيّة وثقافيّة، وهي «جرعة الحياة» بالنسبة إلينا في تقديم البرنامج إلى نظرائنا في الخارج أيضًا. بهذه الطريقة يتمّ إثراء المعرفة البيداغوجيّة في مجال تدريس اللغة العربيّة في المجتمع اليهوديّ بمعرفة بيداغوجيّة في مجال تدريس اللغة العربيّة في المجتمع العربيّ أو من الثراء اللغويّ للمتحدِّثين الأصلانيّين للّغة. إنّ في ذلك خلق مبنًى جديد يستند إلى علاقات قوّة جديدة، ولذلك فإنّه كثير التحدّيات – لكن من دون الشراكة العربيّة–اليهوديّة في الميدان، لا يمكننا أن نتخيّل إنشاء برنامج جديد وتفكير جديد في هذا المجال.

المشروع الثّالث الذي سأختتم به هو عبارة عن سلسلة من الكتب المكرّسة بالكامل لترجمة الأدب العربيّ إلى العبريّة. سلسلة «مكتوب» التي أعمل في إطارها كنائب رئيس تحرير، والتي تُعدّ الآن السلسلة الوحيدة في إسرائيل، وفي العالم عمليًّا، مخصّصة بالكامل لترجمة الأدب العربيّ إلى العبريّة. هذه السلسلة هي نتاج عمل يهوديّ وعربي-فلسطينيّ بالكامل: الأديب الراحل سلمان الناطور كان من بين واضعي فكرتها، كما ذلك يهودا شنهاف-شهرباني الذي يعمل كمحرّر السلسلة، إياد برغوثي نائب رئيس تحرير، كفاح عبد الحليم بصفتها المسؤولة عن الإعلام وحقوق النشر، حنان سعدي مركّزة الهيئة، راوية بربارة وحانا عميت كوخافي وبروريا هوروفيتز كأعضاء في هيئة التحرير المصغّرة، وغيرهم. في كلّ هذه المستويات لأصحاب المهامّ والصلاحيّات هناك نسيج من اليهود والعرب-الفلسطينيون (من عرب 48). كما أنّ النقاشات تجري بأكبر قدر ممكن باللغة العربيّة – أو باللغة الأمّ لكلّ مشارك. على النقيض من سلاسل الكتب الأخرى، فإنّنا نسعى إلى التأكيد ليس على المنتَج النهائيّ فحسب، بل أيضًا على أسلوب العمل في الطريق إليه. وهنا أيضًا – بهدف التعامل مع الإخفاقات التي نشأت عن إزراء العربيّة ومحوها في المجتمع اليهوديّ في إسرائيل.

وهكذا، تعمل سلسلة مكتوب إلى جانب منتدى المترجمين الذي يضمّ حوالي 100 عضو، من مترجمين ومترجمات، قُدامى وشباب، يهود وعرب. في الواقع، هذه سلسلة من الكتب التي تُعدّ فيها الكتب نتاجًا آخر لعمل اجتماعيّ وسياسيّ في أساسه: عدم تناول النقل الثقافيّ نفسه، من العربيّة إلى العبريّة، بشكل فرديّ، من أجل وضع كتاب على الرفّ، بل من خلال حوار وعمل من إبداع طواقم ترجمة أعضاؤها من العرب واليهود يعملون في حوار على ترجمة العمل، وأيضًا في حوار مع مؤلّف أو مؤلّفة الكتاب (إذا رغبوا في ذلك) ممّن يعيشون في منطقة الشرق الأوسط وبينه/ وبينها وبين القارئ الإسرائيليّ فجوة كبيرة، سياسيّة ولغويّة على حدّ سواء. وهكذا تمّت في السنوات الثلاث الأخيرة ترجمة 13 عملًا، بإذن من المؤلّفين أنفسهم، ومن بينها: كتاب «سفر على سفر» لسلمان ناطور، و«أولاد الغيتو» لإلياس خوري، «ذاكرة الجسد» لأحلام مستغانمي، «زمن الخيول البيضاء» لإبراهيم نصر الله، «الأولاد يضحكون» لزكريّا تامر وغيرها من الأعمال. والآن تتمّ ترجمة أعمال أخرى، من بينها: «لغة السرّ» لنجوى بركات، «آخر الملائكة» لفاضل العزّاوي، «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» الذي يصف الاجتياح الفرنسيّ للشرق من منظور عربيّ، للمؤرّخ المصريّ عبد الرحمن الجبرتي، والجوهرة في التاج من حيث هذا المقال: «شلومو الكردي وأنا والزمن»، رواية سمير نقاش اليهوديّ-العربيّ-العراقيّ، الذي وُلد في

بغداد وتوفّي في رمات غان، التي صدرت للمرّة الأولى بالعبريّة في 2020، من خلال تشكيل فريق ترجمة من أربعة أعضاء.[8]

إجمال مرحليّ – أو ما العلاقة بين العلاقات بين اليهود والعرب وتدريس العربيّة؟
كما أشرت في المقال، تعرض «العربيّة الإسرائيليّة» العالم العربيّ من خلال منظار، وكأنّها ترقبه من موقع عسكريّ. إنّها تقدّم نظرة من الخارج، من دون التواصل مع العرب، وبالتأكيد ليس مع المواطنين العرب في البلاد. تخلّد وجهة نظر اللاعبين الرئيسيّين الذين شكّلوا مجال الدراسات العربيّة، وجهة نظر تستند إلى أيديولوجيّتهم وخلفيّتهم الأمنيّة. كما وأنّ خلق استبعاد العرب من العمليّة هي دائرة مغلقة. أمّا أفق التوقّعات فهو محدود للغاية، حيث أنّ معرفة التلاميذ ومعتقداتهم فيما يتعلّق بالعربيّة مستمدّة من تجربة معلّميهم – ومن هؤلاء التلاميذ سيظهر المعلّمون المستقبليّون. المعرفة نفسها تبقى «جامدة» لأنّها لا تتلقّى تغذية حيّة وحقيقيّة من الميدان، من العرب الذين يتحدّثون اللغة. تعتبر المناهج الأخرى لتعلّم اللغة العربيّة التي تحاول كسر هذه الدائرة المغلقة، أقل قيمة، غير قابلة للتطبيق، غير فعّالة بل وخطيرة. علاوة على ذلك، أدّى الميل إلى رؤية المنطقة من منظور يهوديّ وأمنيّ واستشراقيّ إلى إدراك محدود للشرق الأوسط بأكمله.

إنّ عسكرة تدريس اللغة العربيّة وتحويلها إلى لاتينيّة هما عمليّتان مأساويّتان حسب رأيي، إذ أدّيتا دراسة اللغة بطريقة تمنع نشوء الروابط الاجتماعيّة، وذلك من منطلق إنكار التاريخ وأحيانًا إنكار الذات. يخلق مثل هذا التعلّم فهمًا ضيّقًا ووجهة نظر مسطّحة وازدواجيّة. هذا يعني أنّ التلاميذ لم يعُد بإمكانهم فهم روح اللغة، وبالتأكيد لا يتعلّمونها بأدقّ تفاصيلها. في نهاية المطاف، تتماشى وجهة النظر هذه مع الطريقة التي ينظر بها اليهود في إسرائيل إلى دولتهم: فهي تقع في الشرق الأوسط، ولكنّها ليست جزءًا منه.

في العقود السبعة التي مرّت على إقامتها، لم تحقّق إسرائيل سلامًا حقيقيًّا أو علاقات وثيقة مع أيّ دولة شرق أوسطيّة، كم بالحري مع الشعب الفلسطينيّ. حان الوقت لإسرائيل أن تنظر إلى الحيّز العربيّ وتدرك أن العربيّة – كلغة وخطاب وكنز ثقافي واجتماعي – من أهمّ قنوات الحياة في المنطقة بشكل عامّ والبلاد بشكل خاصّ وإزالة حالات الفصل الموجودة فيه. لقد حان الوقت للاعتراف بعمليّات التحويل إلى اللاتينيّة التي حدثت في مجال الدراسات العربيّة في إسرائيل، للاعتراف بتشكيل «حيّزات التخصص» داخل تحالفات مدنيّة-عسكريّة، والاعتراف بأنّ الصيغة

8. إلى موقع مكتوب، انظروا هنا: www.maktoobooks.com/ar

المتعارف عليها، التي تنصّ على أن اللغة العربيّة هامّة لـ «السلام والأمن»، هي في الواقع صيغة عسكريّة وليست مدنيّة تحول دون إحداث تغيير حقيقيّ، كما تحول دون انضمام العرب إلى هذا المجال. إنّ تجاهل هذه الحقائق وإنكارها يحولان دون مناقشة صريحة وجادّة لمكانة اللغة العربيّة في إسرائيل، ولا يسمح بالتأمّل الذاتيّ وفهم المجتمع الإسرائيليّ–اليهوديّ. إنّ إحداث تغيير في الدراسات العربيّة وجعلها وسيلة للمشاركة في الحياة الفكريّة، المدنيّة والثقافيّة لسكّان الشرق الأوسط، التعرّف، الاقتراب، الاندماج، الفهم، مدّ يد العون بشكل حقيقيّ، وهناك حاجة إلى نوع من ثورة في هذا المجال.

لذلك، لا مفرّ من الإشارة إلى أنّه من أجل تحدّي الوضع القائم لعلاقات اليهود– اللغة العربيّة، كمرآة للعلاقات اليهوديّة–العربيّة، من الضروريّ تحدّي تدريس اللغة العربيّة بالطريقة الحاليّة. وكنادرة قبل أن أنهي، ادّعائي هو أنّ محو اللغة العربيّة كلغة تشكل جزءًا من الوجود اليهوديّ، ليس أقل من كارثة لليهود عامة وأولئك الذين يعيشون في الشرق الأوسط وإسرائيل اليوم خاصّة. لذلك، فإنّ مجرّد ذكر إمكانيّة أخرى لمكانة اللغة العربيّة بين اليهود والعمل من أجلها – كلغة منطوقة، مترجمة، متعلَّمة – هو أيضًا رؤية لأفق آخر لمكان اليهود بين العرب. العمل المشترك لليهود والعرب من أجل اللغة العربيّة هو تحدٍّ للجمود الفكريّ واللغويّ الإسرائيليّ. في نهاية المطاف، لست هنا وحدي، لكنّني أقف مع صديق عزيز ساعدني في الترجمة، صالح عليّ سواعد. وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدل على أنَّ اللغة والناطقين بها هما متداخلان. ترتبط العلاقات اللغويّة بالعلاقات بين الشعوب، وفقط إذا تحلّى اليهود في إسرائيل بالجرأة على التفكير باللغة العربيّة خارج القوالب والانفصاليّة الإسرائيليّة الاستشراقيّة المتعارف عليها، يمكنهم أن يحرِّروا العروبة من الدونيّة، وفي الوقت نفسه يحرّروا فعليًّا اليهود في بلادهم من قيود «العربية الاسرائيلية» والخوف والغربة.

مراجع (بالعربيّة، العبريّة والإنجليزيّة):

- مندل، يوناتان. 2018. **تكوّن العربيّة الإسرائيليّة: معطيات سياسيّة وأمنيّة في تشكّل دراسات العربيّة في إسرائيل** (الدوحة: إصدار المركز العربيّ للأبحاث ودراسات السياسة)
- ناطور، سلمان. 2016. جلسة بعنوان "عن الشرقيّين وضياع اللغة العربيّة في إسرائيل"، **مؤتمر باللغة العربيّة: أنا من اليهود: اليهود الشرقيّون واللغة العربيّة، جامعة تل أبيب**، 14.1.2016:
https//:www.youtube.com/watch?list=PLHgwT2MoGd82QjFf9bT5geYpShJMlWaN2&v3_=GP0lIfx54

- Eyal, Gil. 2006. *The Disenchantment of the Orient: Expertise in Arab Affairs and the Israeli State* (Redwood City, CA: Stanford University Press)
- Gramsci, Antonio. 1985. *Selections from Cultural Writing*, eds. David Forgas and Geoffrey Nowell-Smith (Cambridge, MA: Harvard University Press)
- Kramsch, Claire. 2003. *Language and Culture* (Oxford: Oxford University Press)
- Mangold Will, Sabine. 2016. "Josef Horovitz und die Gründung des Instituts für Arabische und Islamische Studien an der Hebräischen Universität in Jerusalem: ein Orientalisches Seminar für Palästina," *Naharaim – Zeitschrift für deutsch-jüdische Literatur und Kulturgeschichte* 10, 1, 7-37.
- Mendel, Yonatan. 2015. "From German Philology to Local Usability: The Emergence of 'Practical' Arabic in the Hebrew Reali School in Haifa", *Middle Eastern Studies* 52 (1), pp. 1-26.
- Mendel, Yonatan. 2014. *The Creation of Israeli Arabic: Political and Security Consideration in the Making of Arabic Language Studies in Israel*. Palgrave Studies in Languages at War (Palgrave Macmillan, Basingstoke).
- Snir, Reuven2006 .. '"Ana min al-Yahud': The Demise of Arab-Jewish Culture in the Twentieth Century," *Archiv Orientální*4 ,74 , pp. 387-424.
- Suleiman, Yasir. 2004. *A War of Words: Language and Conflict in the Middle East* (Cambridge: Cambridge University Press)
- Uhlmann, Alon. 2017. *Arabic Instruction in Israel: Lessons in Conflict, Cognition and Failure* (Leiden: Brill)

- אייל, גיל. 2005. הסרת הקסם מן המזרח: תולדות המזרחנות בעידן המזרחיות (תל אביב: הקיבוץ המאוחד)
- אמארה, מוחמד. 2013. "הוראת השפה הערבית בקרב תלמידים יהודים בישראל: מגישה ביטחונית לגישה אזרחית", במת ון ליר: מגזין אלקטרוני ליחסי יהודים ופלסטינים בישראל, 29.9.2013:
https//:tinyurl.com/ya68zf8z

- הלפרין, שרה. 1970. ד"ר א. בירם וביה"ס הריאלי: דרכים חדשות ומסלול קבוע (ירושלים: ר' מס)
- כ"ץ, שאול, ומיכאל הד (עורכים). 1997. תולדות האוניברסיטה העברית בירושלים: שורשים והתחלות, (ירושלים: מאגנס).
- לבסקי, חגית (עורכת). 2009. תולדות האוניברסיטה העברית בירושלים (ירושלים: מאגנס)
- קירש, נורית. 2008. "חוקרים בעברית, חולמים בגרמנית: מדענים יוצאי גרמניה באוניברסיטה העברית בתקופת היישוב", גלילאו 117, 48-54
- מנדל, יונתן. 2020. שפה מחוץ למקומה: אוריינטליזם, מודיעין והערבית בישראל (ירושלים: ון ליר והקיבוץ המאוחד)
- מנדל, יונתן. 2019. "כל מה שרציתם לדעת על הסיבות שבגללן אתם לא יודעים ערבית ולא העזתם לשאול", אתר אוניברסיטת בן־גוריון בנגב, 17.12.2019:

https://ibgu.bgu.ac.il/?p=3040&fbclid=IwAR3KsOOW8qAoQBoZ9aNZbA2FJ_Za8ZXRvmKVBSlmigIZCJFLyOVGs5bEJiA

- פרגמן, אלון. 2006. "שיטת התרגום-דקדוק בהוראת השפה הערבית 2005-2006", אימגו: כתב עת בנושא תרבות ותוכן, 24.9.2006:

http://www.e-mago.co.il/Editor/edu-1260.htm

- שנהב, יהודה, מייסלון דלאשה, רמי אבנימלך, נסים מזרחי ויונתן מנדל. 2015. ידיעת ערבית בקרב יהודים בישראל (ירושלים: מכון ון ליר)